

سلسلة بطولات إسلامية

- ٣ -

عبدة بن الصامت الأنصاري الخزرجي

القائد البطل فاتح مدينة الاسكندرية

تألیف

د. محمد راهيم نصر و محمد مصطفى سلام

دار الكواعد
للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مُحْفَظَةٌ
الطبعة الثانية

١٤٠٣ - ١٩٨٣ م

شارع اللواء - المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع الملك فهد
من. ب : ٢٨٥٦ - هاتف : ٠٢٨٠٨٤ - برقاً : نشر دار

مقدمة

قال تعالى « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .
هؤلاء الرجال الذين مجّد القرآن الكريم بطولائهم لأنهم
صدقوا ما عاهدوا الله عليه بأخلاصهم وتقاناتهم في سبيل
إعلاء كلمة الله ، فمنهم من استشهد في سبيل نشر العقيدة
ومنهم يتنتظر دوره البطولي من هؤلاء الرجال الذين تربوا في
مدرسة النبوة ، ورباهم الرسول القائد صلوات الله وسلامه
عليه .

القائد النقيب البطل المجاهد فاتح مدينة الاسكندرية (عبادة
ابن الصامت الانصاري الخزرجي) الذي جمع القرآن الكريم
في عهد النبي ﷺ ، وكان يقول أنا من النباء الذين يابعوا
رسول الله ﷺ ، ألا يخاف في الله لومة لائم . وظل طول
عمره على ذلك .

وقد كان عبادة يقف أمام أي إنسان مهما كان في سبيل

ولا عجب في ذلك ، فقد كان يعاتب عمر بن الخطاب نفسه ، فقال لعمر عندما قال بخلة بن الأبيهم « إن أقمت على دينك فأدّي الجزية » فأنف منها جبلة ، فقال له عمر « ما عندنا إلا واحدة من ثلاثة : إما الإسلام وإما أداء الجزية ، وإما الذهاب إلى حيث شئت »، فدخل بلاد الروم ، فلما بلغ ذلك عمر ندم وعاتبه عبادة فقال : « لو قبلت منه الصدقة ثم تألفته لأسلام » وكل ذلك يدل على قوته في دين الله وقيامه في الأمر بالمعروف . لقد كان عبادة من سادات الصحابة ، وكان محدثاً ، فقيهاً ، عالماً ، ورعاً ، غاية في الورع ، يعمل لعقيدته أكثر مما يعلم لنفسه ، بل قد نسي نفسه من أجل عقيدته وكان عبادة رجلاً شجاعاً معدداً بألف رجل لشجاعته وإنقامه وعقيدته الراسخة .

وكان وجوده في جيش من جيوش المسلمين كافياً لرفع معنويات ذلك الجيش وإنقامه على تحمل أشق أعباء القتال ، إذ كان يشير في نقوسهم النخوة والنجدة بمثاله الشخصي في التضحية والإقدام .

كما كان يفجر في نقوسهم بناء الإيمان بالقضاء والقدر والتطلع إلى الشهادة في سبيل الله .

هذه صور قليلة من بطولات هذا القائد العظيم الصحابي البخليل (عبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي) .

تقديمها إليك أيها القارئ الكريم في الكتاب الرابع من
سلسلة « بطولات إسلامية » لعلها تجد منك القبول والرضا .
وأ والله تعالى نسأل أن يوفقنا في كل ما من شأنه نشر دينه ،
وإعلاء كلامه ؛ إنه نعم المولى ونعم النصير .

المؤلفان

مصرف بَيْانِ افتتاح الْإِسْلَامِ

قال وفد المقوقس عن المسلمين :
«رأينا قوماً الموت أحب إليهم
من الحياة ، والتواضع أحب إليهم
من الرفعة ، ليس لأحد هم في
الدنيا رغبة ولا نهاة ، جلوسهم
على التراب ، وأكلهم على
رُكْبِهِم ، وأميرهم كواحدٍ منهم»

حالة مصر عند الفتح الإسلامي

لما قدم عمرو بن العاص إلى مصر وبلغ الموقوس ذلك أخذ يجهز الجيوش للقضاء على عمرو ومن معه من جند المسلمين ولكن عمراً صمد له في كل قتال تقابل فيه المسلمين والقبط والروم ، حتى وصل عمرو إلى حصن بابليون ، وكان به جماعة من الروم ، وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوس فقاتلواهم شهراً فلما رأى القوم الجد من العرب على فتحه والحرص على اقتحامه ، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه تخافوا أن يظهروا عليهم ، ففتحتى المقوس وجماعة من أكابر الأقباط وخرجوا من باب القصر القبلي وتركوا به جماعة يقاتلون العرب ، فلحقوا بالجزيرة وأمروا بقطع الحسر وذلك في جريان النيل ، ويقال : « إن الأعيرج أحد أعيان المقوس تخلف بالحصن بعد المقوس ، فأرسل المقوس إلى عمرو يقول : »

« إنكم قد ولتم في بلادنا وألحدتم في قاتانا ، وطال

الروم وجهزوا إلينكم ومعهم من العدة والسلاح ما لا قبل لكم به ، وقد أحاط بكم التل ، وإنما أنتم أسارى في أيدينا ، فابعثوا إلينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فقل لهم أن يأتي الأمر فيما يبیننا وبينكم على ما تحبون وتحب وينقطع عننا وعنكم القتال ، قبل أن يغشكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مختلفا لطلبكم ورجائكم ، فابعثوا إلينا رجالا من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء .

فلما أتت رسول المقوس إلى عمرو حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف المقوس فقال لأصحابه : أترون أنهم يقتلون الرسل « ويحبسونهم » ويستحلون ذلك في دينهم ! وإنما أراد عمرو بذلك أن يطلعهم على حال المسلمين . فرد عليهم عمرو مع رسلهم : أنه ليس بيبي وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال إما دخلتم في الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم مالنا ، وإن أبيتم أعطيم الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين ، فلما جاءت رسول المقوس إليه قال : كيف رأيتموهم ؟ قالوا :

رأينا قوما الموت أحب إليهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهاة ،

وإنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم وأميرهم
كواحد منهم ، ما يُعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد
من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلَّف عنها منهم أحد ،
يغسلون أطرافهم بالماء وينشعرون في صلاتهم .

قال عند ذلك المقوقس : والذي يُحلف به لو أن
هؤلاء استقبلوا الجبال لازوالها وما يقوى على قتال هؤلاء
أحد ! ولئن لم نختتم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل
لم يحييونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج
من موضعهم .

فرد إليهم المقوقس رسلاً يقول لهم : ابعثوا إلينا رسلاً
منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عساه يكون فيه صلاح
لنا ولكم .

بعث عمرو بن العاص عشرة نفر برئاسة عبادة بن
الصامت ، وكان عبادة ، طويلاً جسماً ضخماً أسود اللون
قيل إن طوله كان عشرة أشبار وأمره عمرو أن يكون متكلماً
ال القوم ، وألا يجيئهم إلى شيء دعوه إليه إلا أحدهى الخصال
الثلاث التي مر ذكرها فيما سبق ، وقد ركبوا السفن وساروا
إلى المقوقس ليتفاوضوا معه حسب رغبته ، ولنبأ بيان المهمة
الشاقة التي ذهب إليها عبادة وأصحابه وهي التفاوض بشأن
إعلان المبادئ الإسلامية للمقوقس وأصحابه . وكان اختيار

اختياراً موافقاً لأن عبادة صحابي جليل تربى في مدرسة النبوة
فهو جدير بهذه المهمة المنوطة به .

عبدة يُرْسِعُ فِي الْمَفَاضَاتِ إِلَى الْمَقْوِسِ

« وَاللهِ لَقَدْ تَرَكْتُ وَرَانِي أَلْفٌ
رَجُلٍ كُلُّهُمْ أَشَدَّ سُواداً مِنِّي ،
لَا يَبْلِي الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِأَلْفِ مِنْكُمْ »

« عبدة بن الصامت »

عبادة يرأس وقد المفاوضات إلى المقوس

عندما طلب «المقوس» من عمرو بن العاص المفاوضة بينهم وبين العرب ، اختار عمرو عشرة نفر وجعل عليهم عبادة بن الصامت ، وكان عبادة أسود اللون ضخماً طويلاً جسيماً.

وأمره أن يكلم القوم ، ولا يجيئهم إلى شيء دعوه إليه ، إلا إحدى الخصال الثلاث ، وهي الإسلام أو دفع الجزية أو السيف .

ودخل القوم على المقوس ، يتقدمهم عبادة لمخاطبته ، فلما رأه قال : «نحوًا عني هذا الأسود ، وقد مروا غيره يكلمني ».

ولعله أراد بهذا أن يوقع بينهم ، لكنهم أجابوه جميعاً بأنهم يرجعون إلى قول عبادة ورأيه .

وتكلم عبادة ، وذكر ما أمر به الله ورسوله المسلمين ، من الرزء في الدنيا والرغبة في الآخرة والجهاد في الله ، وحب

إعجاشه لأصحابه ثم قال :

« لقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى
عده ، وهم قوم معروفوون بالتعجدة والشدة ، من لا يبالي
أحدهم من لقبي ولا من قاتل ، وإنما نعلم أنكم لن تقدروا
عليهم لضعفكم ، وقتلکم ، وقد أقسم بين أظهرنا شهراً
وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ، ونحن نرق عليکم
لضعفکم وقلة ما بأيديکم وتطيب أنفسنا أن نصلحكم على أن
نفرض لكل رجل منکم دينارين دينارين ، ولأميرکم مائة
دينار ، وتخليفکم ألف دينار ، فتقبضونها وتتصرفون إلى
بلادکم قبل أن يغشاکم ما لا قوة لكم به » .

هذا كلام يجمع إلى الوعد الوعيد ، وإلى الإغراء التهديد ،
فهذه ثلاثون ألف دينار تعرض على (عبادة) ثمناً للانصراف
عن الحرب فإن أباها كان مهدداً بمدد الروم الذي تكلم
المقوس عنه .

ولكن أوامر عمرو إلى عبادة كانت صريحة ، وكان
عبادة شجاعاً لا يهاب الموت ، لذلك أجاب المقوس مزدرياً
بجمع الروم وعددهم ، ذاكراً قوله تعالى « كم من فتنة
قليلة غلبت فتنة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين » (١)

(١) سورة البقرة . ٢٤٨ .

وأن كل رجل من المسلمين يدعوه ربها صباح مساء أن يرزقه الشهادة . ثم التفت إلى المقوقس قائلاً : « ليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ، أو نحييك إليها إلا خصلة من ثلاث .

فاختر أيتها شئت ، ولا تطمع نفسك في الباطل ، بذلك أمرني الأمير ، وبها أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد رسول الله عليه السلام عليه السلام علينا من قبل » .

ثم ذكر أنهم إن أسلموا انصرف العرب عنهم ، وإن أبووا الإسلام وأدوا الحجزية أدخلهم المسلمون في حمايتهم ، ودافعوا عنهم ، وإن أبووا الإسلام والجزية جمعاً فليس إلا الحرب تفصل بين الفريقين » .

حاول المقوقس عيناً أن يصرف عبادة إلى خصلة غير هذه الخصلة الثلاث والتفت المقوقس إلى من معه يستطلع رأيه ، فأبوا إيجابة المسلمين إلى شيء مما طلبوا ، فانصرف عبادة وأصحابه ، لم يغيروا مما قالوه حرفاً واحداً وعاد المقوقس يتصلح قومه بعاصحة المسلمين ، فسألوه : أي خصلة تحييهم إليها ؟ قال : « إذاً أخبركم ؛ أما دخولكم في غير دينكم فلا أمركم به وأما قتالهم فإذا أعلم أنكم لن تقووا عليهم ، ولن تصبروا صبرهم ، فلا بد من الثالثة » .

قالوا فلنكون لهم عيذاً أبداً ؟ قال : « نعم تكونون لهم عيضاً مسلطين في بلادكم ، آمين على أنفسكم ، وأموالكم وذرارياتكم ، خير لكم من أن تموتونا عن آخركم ، أو تكونوا

وذراريكم .

قالوا : الموت أهون من هذا ! وعادوا إلى الحصن وقطعوا الجسر من الجزيرة ، وعادت الحرب بينهم وبين المسلمين .

* * *

ماذا تم بين المسلمين وأعدائهم بعد انهيار المفاوضات ؟

بعد انهيار المفاوضات التي كانت بين المقوس وبين وفد المسلمين بقيادة عبادة بن الصامت ، استعد المسلمون للقتال فهجموا على من بالقصر وقاتلوهم حتى ظفروا بهم ، وأمكن الله منهم ، فقتل منهم خاق كثير ، وأسر من أسر منهم ، وانحازت السفن كاها إلى الجزيرة .

ويقول بعض المؤرخين إن كبار الروم ، طلبوا أن يهادنهم العرب شهراً ليروا رأيهم ، فأجبتهم عمرو جواباً قاطعاً ، أنه لن يمهلهم أكثر من ثلاثة أيام ، غير أن موقف المقوس ورغبته في مصالحة المسلمين لم يلبث أن ذاع في الناس فثار ثائرهم ، وألى جند الامبراطور إلا القتال ، فما انتهت أيام الهدنة الثلاثة حتى أخذ أهل الحصن يتجهزون للخروج إلى المحاصرين ينابذونهم ، ولم يعنوا ردآ إلى

عمرٍ ، وخرجو إلَيْهِ بعثة فوق قناطرهم ، فأخذوا جنود المسلمين على غرة ، ولم تُذهل تلك البعثة العرب ، فأسرعوا إلى سلاحهم ، وقاتلوا الروم قتالاً شديداً .

وقاتلهم الروم يومئذ مستسلين ، غير أن العرب تواردوا عليهم ، مُنذًّاً أدركوا قصدهم فتكاثر العرب عليهم ، مما استطاع الروم إلا أن يتراجعوا إلى الحصن بعد أن قتل منهم عدد عظيم .

كيف تم فتح حصن بابليون؟

بعد أن لجأ الروم إلى الحصن ، رأى « الزبير بن العوام » خاللا في سور الحصن فنصب سُلْتاً وأسنده إلى الحصن وقال « إني أحب نفسي لله تعالى فمن شاء أن يتبعني فليفعل » .

فتبعد جماعة حتى أوفى على الحصن ، فكثير وكثروا ، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن ، انسحبوا ، منه ، وتشب القتال بين الطرفين حول (الحصن) فأحرز المسلمون النصر على الروم بعد أيام معدودة من المفاوضات التي أجراها (عبادة بن الصامت) مع المقوس فمن هو عبادة؟ ذلك القائد البطل الذي جاهد في الله حق جهاده ، وحمل لواء الجهاد لإعلاء كلمة الله ، ونشر دينه الحنيف بين العالمين؟

هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ، بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، ويكنى أبا الوليد .

وأمّه قُرْةُ العين بنت عبادة بن نَضْلَةَ بن مالك بن العجلان ابن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج .

أولاده :

كان لعبادة من الولد : الوليد ، وأمه جميلة بنت أبي صعصعة وهو عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو ابن غنم بن مازن بن النجار .

ومن أولاده :

محمد وأمه أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جنْدِب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار .
وشهد عبادة العقبة مع السبعين من الأنصار في روايتهم جميعاً ، وهو أحد النقباء الثاني عشر ، وقد آخى رسول الله عليه صلواته بين عبادة بن الصامت ، وأبي مرثد الغنوبي .

وشهد عبادة بدرأ وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع
رسول الله ﷺ .

وكان عبادة عقيباً^(١) ، نقبياً ، بدريراً ، أنصارياً ،
أخبرنا محمد بن عمر قال : أخبرنا أبو حرزة يعقوب بن مجاهد
عن عبادة بن الوليد بن عبادة عن أبيه قال : كان عبادة
ابن الصامت رجلاً طويلاً جسماً جميلاً مات وله عقب .

(١) عقيباً : من المسلمين الذين شهدوا العقبة .

عِبَادَةُ شَهْرٍ مِنْ حَلْفٍ بَنِي قِينَقَاع

لما نقضت بنو قينقاع حلف رسول
الله ﷺ مشى إليهم عبادة وقال :
« يا رسول الله أنوئي الله ورسوله
والمؤمنين وأبدأ من حلف هؤلاء
الكافر وولايتهم ». .
« عبادة بن الصامت »

عبادة مع النبي ﷺ :

قدم مكة الحبّسِرُ أنيسُ بن رافع في مائة من قومه من بني عبد الأشهل يطلبون الحلف مع قريش ، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام فقال إِيَّا سِنْ بن معاذ وكان شاباً حدثاً : « يا قوم ، هذا والله خير مما جئنا له ! » فضربه الحبس وانهروه . فسكت ! ولم يتم له الحلف ، فانصرفوا إلى المدينة ثم إن رسول الله ﷺ لقى عند (العقبة) ستة نفر من الأنصار كلهم من الخزرج .

فدعاهم إلى الإسلام فأمنوا وأسلموا ، وقالوا : « إنا قد تركنا قومنا وبينهم حروب فتصرف إليهم وندعوهم إلى ما دعوتنا إليه ، فعسى الله أن يجمع كلمتهم بك ، فإن اتبعوك فلا أحد أعز منك » .

وانصرفوا إلى المدينة فدعوا إلى الإسلام حتى انتشر بينهم ، ولم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان العام القادم ، قدم من الأنصار اثنا

آخرون كان أحدهم (عبادة بن الصامت) بن قيس الأنصاري المزرجي .

وشهد عبادة العقبة الثانية ، وبایع مع من بایع من الأنصار على أن يمنعوا رسول الله ﷺ مما يمنعون منه نساءهم وأبنائهم وأزرهم ^(١) ، وأن يرحل إليهم وأصحابه .

لقد كان عبادة أحد الثقباء الاتي عشر ، وقد آتني رسول الله ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوبي ، وشهد بدرأ وأحداً والخدق والشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، فكان عقيباً ، نقيباً ، بدرياً ، أنصارياً ، وقد استعمله رسول الله ﷺ على بعض الصدقات وقال له « إتق الله ! لا تأتي يوم القيمة بغير تحمله له رغاء ، أو بقرة لها خوار أو شاة لها ثوّاج » قال : « فوالذي بعثك بالحق لا أعمل على اثنين ^(٢) » وكان قد بایع رسول الله ﷺ على ألا يخاف في الله لومة لائم .

وكان بنو قينقاع حلفاء عبد الله بن أبي سلو ، كما كانوا حلفاء عبادة بن الصامت ، فلما حارت بنو قينقاع رسول الله ﷺ قام عبد الله بن أبي دوتهم فقال : « يا محمد !

(١) الأزر جمع لازار ، وهو كتامة عن المرأة والنفس .

(٢) يعني أنه لن يعمل على إرضاء الله من ناحية وجمع الدنيا من ناحية أخرى ، ولكن عمله سيكون لله فقط .

أحسن في موالي » فغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه
ظللاً .

أما عبادة فقد مشى إلى رسول الله ﷺ ، فخلعهم
وتبرأ من حلفهم وقال : « يا رسول الله ! أتولى الله ورسوله
ﷺ ومؤمنين وأبراً من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم »
ففيه وفي عبد الله بن أبي قحافة قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه
منهم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين »^(١) .

وقد أمر الرسول ﷺ القائد ﷺ أن يجعلوا من المدينة
وولى إخراجهم منها القائد المأتم عبادة بن الصامت رضي الله
عنه .

لقد كان عبادة مثلاً للأمانة والإخلاص والإيمان العميق .

جهاده في سبيل إعلاء كلمة الله :

لقد اشترك عبادة بن الصامت القائد العربي المسلم ، في
معارك كثيرة ببرية وبحرية ، وقد كتب الله له فيها النصر .
فمن صور جهاده وبطوله الرائعة ، أنه كان في طليعة

(١) سورة المائدة : ٥١ .

وكان من الدين كتب لهم شرف الجهاد مع رسول الله ﷺ في أول معركة إسلامية كبيرة منبني عوف بن المخزوج وهم أربعة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ هم (عبادة بن الصامت) و (العباس بن عبادة بن نضلة) و (يزيد بن ثعلبة بن خزمه) و (عمرو بن الحارث بن لبدة بن عمرو) وكان عبادة بن الصامت يقول : إذا مثل عن سورة الأنفال « — فينا — عشر أهل بدر نزلت حين اختلفنا في التغلب يوم بدر ، فانتزعه الله من أيدينا ، حين ساءت فيه أخلاقنا ، فرده على رسول الله ﷺ قسمه بيتنا عن بواء — يقول على السواء — وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله ﷺ وصلاح ذاتيin » وقد روى ابن إسحاق عن هذا فقال : « فلما انقضى أمر بدر أنزل الله عز وجل فيه من القرآن (سورة الأنفال) بأسرها .

وأول ما تحدث عنه القرآن الكريم ، اختلاف عسكر بدر من المسلمين حول الغنائم والأسلاب ، فقال تعالى : « يسألونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذاتَ يئنكم ، وأطِيعُوا الله ورسوله إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينْ » .

وقد كانت هذه الآيات بمثابة قرار حاسم حل الخلاف بين العسكر حول الغنائم ، إذ جعل أمرها عائداً إلى النبي ﷺ وعلى المسلمين أن يطاعوا أمره .

وقد قسم النبي ﷺ الغنائم بين الجيش على السواء وقد اشترك عبادة في موقعة أحد والخندق وبنى المصطلق وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان مثال الجندي الشجاع الذي لا يرعب الموت في سبيل الدفاع عن الحق .

وقد قام عبادة بدور بارز في كثير من أهم الفتوحات الإسلامية فمن أبرز الأعمال الحربية التي اشترك فيها أنه اشترك في فتح الشام فعندما أرسله عمر إلى الشام استخلفه أبو عبيدة بن الجراح على (حمص) عندما ذهب لفتح (اللاذقية) ثم صرفة لفتح (انططوس) ففتحها .

ومن أهم الفتوحات التي ظهرت فيها براعته فتح مصر .

Ubāda bin al-Samit قائد من قواد فتح مصر :

عندما ذهب عمرو بن العاص لفتح مصر طلب مددًا من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فأرسل في أثره اثنتي عشر ألفا ، وفي رواية أن عمر أمدَّ عمرو بن العاص بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل منهم رجل مقام ألف ، وهم الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت وخارجة بن حداقة ، وقال عمر « إني أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألفِ رجلٍ منهم مقام ألف ».

ولما وصل عبادة إلى مصر اختاره عمرو بن العاص ليكون

دار بينهما فيما سبق وما يروى في هذا الموقف أن المقوقس
قال لعبادة عندهما رأه ، وكان أسود اللون ضخما طويلا :
تقدّم يا أسود وكلمني برقق فإنني أهاب سوادك ، وإن اشتد
كلامك على ازدلت لك هيبة .

فتقديم إليه عبادة فقال :

قد سمعت مقالتك ، وإن فيمن خلقت من أصحابي ألف
رجل مثلـي وأشد سوادـاً منـي وأفظع منظرا ، ولو رأيـتمـهمـ لـكـنـتـ
أهـيـبـ لهمـ منـيـ .

وأنا قد ولـيـتـ وأدبرـ شـابـيـ ، ولـيـ معـ ذلكـ بـحـمـدـ اللهـ
ما أهـابـ مـائـةـ رـجـلـ منـ عـدـوـيـ لوـ استـقـبـلـونـيـ جـمـيعـاـ وـكـذـلـكـ
أصحابـيـ .

وبعد أن انهارت المفاوضات نشبـتـ المعارـكـ بينـ المسلمينـ
والرومـ وانتـصـرـ المسلمينـ عليهمـ ، وأرادـ المـقوـقـ أنـ يـصالـحـ
الـمـسـلـمـينـ عـلـىـ الجـزـيـةـ ، فـعـادـ إـلـىـ قـوـمـهـ يـحـدـثـهـمـ عـنـ ضـرـورـةـ
الـإـذـعـانـ لـمـ طـلـبـهـ الـعـربـ مـنـ الجـزـيـةـ ، وـأـقـرـهـ الـقـومـ كـارـهـينـ ،
فـيـعـثـ إـلـىـ عـمـرـوـ يـذـكـرـ لهـ أـنـهـ لـاـ يـزالـ عـلـىـ رـأـيـهـ فـيـ مـصـالـحـهـ
وـقـالـ لـهـ «ـأـعـطـنـيـ أـمـانـاـ ، أـجـتـمـعـ أـنـاـ وـأـنـتـ ، أـنـاـ فـيـ نـفـرـ مـنـ
أـصـحـابـيـ وـأـنـتـ فـيـ نـفـرـ مـنـ أـصـحـابـكـ ، فـإـنـ اسـتـقـامـ الـأـمـرـ يـبـتـنـاـ
ـتـمـ لـنـاـ ذـلـكـ جـمـيعـاـ ، وـإـنـ لـمـ يـمـ رـجـعـنـاـ إـلـىـ مـاـ كـنـاـ عـلـيـهـ»ـ .

وأبي أصحاب عمرو ما عرضه المقوس ، وآثروا
الحرب ، حتى تصير الأرض كلها لهم فيما وغنية ، فقال لهم
عمرو : قد علمتم ما عهد إليّ أمير المؤمنين في عهده ، فإن
أجبوا إلى خصلةٍ من الخصال الثلاث ، التي عهد إليّ فيها
أجبتهم إليها وقبلت منهم ، فإن قبلوا الجزية حال هذا المال
بيننا وبين ما نريد من قناتهم .

وقد كان هذا الرأي من عمرو ، رأي السياسي المحنك
والقائد البارع فقد أحذق الماء بال المسلمين من كل جهة لفيضان
النيل وصاروا لا يقدرون على أن يتقدموا نحو الصعيد ، ولا
إلى غير ذلك من المدائن والقرى فدفعُهم إلى القتال خطأً في
التقدير .

وانتظارهم هبوط الماء قد يتبع العدو فرصة ، وقد يهيء
للاسكندرية إمداد عدوهم ، ثم إن الروم قد ضعفت قواهم ،
وخارت عزائمهم فمن حسن الرأي ، مفاوضتهم وهم فيما
هم فيه من هذه الحال النفسية ، حتى لا يبعث اليأس إلى
نفوسهم قوة التجلد والاستغاثة .

ولهم من مناعة الحصن ملجاً يستطيعون المقام فيه زمناً
طويلاً .

أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف .

إلا أن يكونوا غيرهم ما غير غيرهم ، فان أتاك كتابي
هذا ، فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في
الصبر والنية ، وقلم أولئك الأربع في صدور الناس ، ومرِّ
الناس جميعاً أن يكون لهم صدقة كصدقة رجل واحد
وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة ، فإنها ساعة تنزل الرحمة
ووقت الاجابة ولبيع الناس إلى الله وسألونه النصر على
عدوهم » .

ولما ورد الكتاب من أمير المؤمنين إلى القائد عمرو بن
 العاص تلاه على أصحابه وطلب منهم الصبر والمثابرة في
الجهاد حتى يفتح الله عليهم مصر .

قال المقوس لعبادته عند ما دخل عليه

« تقدم يا أسود وكلمني
برفق فاني أهاب سوادك ، وإن
أشتد كلامك على ازدلت لك
هيبة ». .

« المقوس »

بن أبي رافع مرحوم ، وابن عبد الرحمن وأبو رافع مولى رسول الله عليه السلام ، وابن عبدة ، وعبد الرحمن وريعة ابنا شرحبيل بن حسنة ، ووردان مولى عمرو بن العاص ، وكان حامل لواء عمرو بن العاص رضي الله عنهم .

وقد اختلف في سعد بن أبي وقاص قفيل : إنما دخلها بعد الفتح وشهد الفتح من الأنصار عبادة بن الصامت وقد شهد بدرأً وبيعة العقبة والمشاهد كلها مع رسول الله عليه السلام ، ومحمد بن مسلمة الأنصاري وقد شهد بدرأ ، وهو الذي أرسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مصر فقاد عمرو ابن العاص ماله ، وهو أحد الذين صعدوا الحصن مع الزبير ابن العوام ، ومسلمة بن مخلد الأنصاري ، يقال له صحبة ، وأبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري ، وأبو الدرداء عويمر ابن عامر ، وقيل عويمر بن زيد وغير هؤلاء كثير ولكننا اكتفينا بهذا القدر من المجاهدين نظراً لكثرتهم عددهم .

عمرو بن العاص يصف مصر لأمير المؤمنين بعد الفتح :

لما استقر عمرو بن العاص على ولاية مصر كتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ أن صف لي مصر فكتب إليه : ورد كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقائه يسألني عن مصر :

اعلم يا أمير المؤمنين أن مصر « تربة غراء ، وشجرة
خضراء ، طوها شهرٌ وعرضها عشر يكتنفها جبل أغبر ،
ورمل أغر ، يحيط وسطها نيل مبارك الغلوان ، ميسون
الروحان ، تجري فيه الزيادة والنقصان كجري الشمس والقمر
له أوان » ، ثم يقول وعندما يكتمل فيضانه .

يأتي القوم يحرثون بطون الأرض ، ويتذرون بها الحب ،
ويرجون بذلك النماء من رب ، لغيرهم ما سعوا من كدهم ،
فناله منهم بغير جدهم ، فإذا أحدق الزرع وأشرق ، سقا
الندى ، وغذاه من تحته الترى .

فيستأ مصر يا أمير المؤمنين لوثوة بيضاء ، إذ هي عنبرة
سوداء ، فإذا هي زمرة خضراء ، فإذا هي دياجة رقشاء ،
فتبارك الله الخالق لما يشاء الذي يصلح هذه البلاد وينميها ،
ويقر قاطنيها فيها ، ألا لا يُقبل قول خسيسها في رئيسها ،
وألا يُساعدَى خراج ثمرة إلا في أوانها ، وأن يصرف ثلث
ارتفاعها في عمل جسورها وترعاتها ، فإذا تقرر الحال مع
العمَّال في هذه الأحوال ، تضاعف ارتفاع المال والله تعالى
يوفق في المبدأ والمال فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال : الله درك يا بن العاص ! لقد وصفت لي
خبراً كأنني أشاهده .

قال الكلبي وغيره من المؤرخين ، فمن فضائل مصر أن الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز في أربعة وعشرين موضعًا منها ما هو بصريح اللفظ ومنها ما دلت عليه القراءن والتفسير .

فأما صريح اللفظ ف منه قوله تعالى « اهبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّكُمْ مَا سَأَلْتُمْ » و قوله تعالى يخبر عن فرعون « أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي » و قوله تعالى « وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ مُوسَى وَأَخْيَهُ أَنْ تَبْشُرُوا لِقَوْمَكُمَا بِمَصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بَيْوتَكُمْ قَبْلَةً » .

وقوله تعالى يخبرًا عن نبيه يوسف عليه السلام : « ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنِينَ » و نكفي بهذا القدر من القرآن الكريم .

أما ما ورد في فضلها من الأحاديث النبوية .

فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« إِذَا فُتِّحَتْ مِصْرٌ فَاسْتَوْصُوا بِالْقَبْطِ خَيْرًا فَإِنْ لَمْ ذَمَّهُ وَرَحْمًا » .

— حديث صحيح ، رواه الطبراني في الكبير ، والحاكم في مستدركه —

قال ابن كثير رحمة الله : والمراد بالرحم أنهم أخوال إسماعيل بن ابراهيم التخليل عليهما السلام ، لأن أمه هاجر القبطية .

وأنهم أخوال إبراهيم بن رسول الله ﷺ ، لأن أمه مارية القبطية من سفي كُورة (أنصينا) وقد وضع معاوية عنهم الجزية لا كرامة لإبراهيم بن الرسول ﷺ .

عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ

تَأْيِيدُ فَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ

دعا عمرو بن العاص عبادة بن
الصامت ، فأتاها وهو راكب
فرسه ، فلما دنا منه أراد النزول
فقال له عمرو لا تنزل ، ناولني
سان وملح فناوله إياه فنزع
عمرو عمامته عن رأسه وعقد
وولاه قتال الروم في الإسكندرية
وأمره بالتوجه لفتحها .

عبادة بن الصامت قائد فتح الإسكندرية

لما أبطأ على عمرو بن العاص فتح الإسكندرية ، استلقى على ظهره ثم جلس فقال « إني فكرت في هذا الأمر فإذا هو لا يصلح آخره إلا بما صلح أوله يريد الانتصار » فدعا (عبادة بن الصامت) وعقد له ففتح الله على يديه الإسكندرية .

وفي رواية أن عمراً استشار مسلمة بن مخلد في فتح الإسكندرية ، فأشار عليه أن يعقد (لعبادة بن الصامت) ليباشر القتال ، فدعا عمرو عبادة ، فأتاه وهو راكب على فرسه فلما دنا منه أراد التزول فقال له عمرو : عزمت عليك إن نزلت ، ناولني سنان رمح فناوله إياه ، فنزع عمرو عمامته عن رأسه ، وعقد له وولاه قتال الروم فاستعد عبادة لقتالهم ، وجهز جيشه لهذا الفتح ثم بدأ في حصارهم ، وقد استمر حصار الإسكندرية تسعة أشهر بعد موت هرقل وخمسة أشهر قبل ذلك وقد فتحت يوم الجمعة لستهل المحرم سنة ٢٠ هجرية .

الصامت يوم الاسكندرية وكان على قاتلها فأغار العدو على طائفة من الناس ، ولم يأذن لهم بقتالهم فسمعني فيعنى أحجز بينهم ، فأتيتهم فمحجزت بينهم ثم رجعت إليه فقال : أَقْتُلَ أَحَدًّا مِنَ النَّاسِ هَنالِكَ؟ قَلْتُ لَا :

قال الحمد لله الذي لم يقتل أحد منهم .

وقد هزم الله تبارك وتعالي الروم وفتح الاسكندرية وهرب الروم في البر والبحر إلى الاسكندرية فلما علم بذلك عمرو بن العاص ، خلف بالاسكندرية ألف رجل من أصحابه ، ومضى عمرو ومن معه في طلب من هرب من الروم في البر وقد رجع من هرب من الروم في البحر إلى الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين إلا من هرب منهم ، وبلغ ذلك عمرو بن العاص فكر راجعا إليها وفتحها ومعه قائد فتحها عبادة بن الصامت .

فرح المسلمين بفتح الاسكندرية

عندما انتهى عبادة بن الصامت من فتح الاسكندرية أبلغ عمثرو بن العاص فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يبشره بالفتح ويقول له :

« إن الله قد فتح علينا الاسكندرية عنوة بغير عقد ولا عهد »

فرح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية

بعد أن تم فتح الإسكندرية على يد القائد (عبادة بن الصامت) بعث عمرو بن العاص معاوية بن حديج إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بشيراً بفتح الإسكندرية فقال له معاوية : ألا تكتب معي ، فقال له عمرو : وما أصنع بالكتاب ألسنت عريباً تبلغ الرسالة ، وما رأيت وحضرت ؟ فلما قدم على عمر أخبره بفتح الإسكندرية فخرّ ساجداً وقال ۖ الحمد لله ۖ .

وقد روی عن عبد الله بن يزيد المُعْرِي ، عن معاوية بن حديج ، يقول بعثني عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، بفتح الإسكندرية ، فقدمت المدينة في الظهيرة فأنفتح راحلي بباب المسجد ثم دخلت المسجد فبينا أنا قاعد فيه إذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب فرأته شاحجاً على (ثياب) السفر فأتنى فقالت : من أنت ؟ فقلت أنا معاوية بن حديج ، رسول عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين ، فانصرفت عني ثم أقبلت حتى دنت مني فقالت : قم فأجب ، أمير المؤمنين يدعوك فتبعتها ، فلما دخلت فإذا بعمرو بن الخطاب يتناول رداءه بأحدى يديه ، ويشد إزاره بالأخرى فقال ما عندك ؟

فقلت خيراً ، يا أمير المؤمنين ، ففتح الله الإسكندرية علينا ، فخرج عمر معه إلى المسجد فقال للمؤذن : أذن في الناس ،

فقمت فأخبرتهم ، ثم صلى ودخل منزله واستقبل القبلة فدعى بدعوات ، ثم جلس فقال : يا جارية ، هل من طعام ؟ فأتت بمحبز وزيت ، فقال كُلْ فأكلت على حياء ثم قال كُلْ فإن المسافر يحب الطعام فلو كنت أكلًا لأكلت معك ، فأصبت على حياء ، ثم قال يا جارية : هل من تمر ؟ فأتت بتمر في طبق فقال كُلْ فأكلت على حياء ، ثم قال ماذا قُلْتَ يا معاوية حين أتيت المسجد ؟ قال : قلت : أمير المؤمنين « قائل » أي في القبلولة .

قال بشش ما قُلْت أو بشش ما ظنت ، لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسى فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية ؟

وقد وصل إلى أمير المؤمنين عمر كتاب من عمرو بن العاص بعد ذلك يصف له مدينة الإسكندرية التي فتحها المسلمون بقيادة (عبادة بن الصامت) يقول فيه أما بعد فاني قد فتحت مدينة لا أستطيع أن أصفها لروعتها وجمالتها .

وصف مدينة الإسكندرية عندما فتحها عبادة :

لقد بدت العرب عند فتحهم الإسكندرية ، لما شاهدوه من حسن العمارة ، وروعة التخطيط ، وجليل العمran ، وكثرة الدور التي هجرها أصحابها ، فأصبحت أخاند للفاتحين ،

كما أعجبوا بياض دورها المتخلدة من الرخام الأبيض الناصع
البياض ، وبمحصانة أسوارها ، وروعة آثارها ، وكثرة مراافقها
وليس غريباً أن ينال فتح الإسكندرية هذه الأهمية ، وليس
عجبياً أن يذهل العرب عند مشاهدة آثارها الجليلة ، فمنار
الإسكندرية ، كان يعد إحدى عجائب الدنيا السبع في العالم القديم .
وقد حظى هذا المنار بنصيب وافر من وصف المؤرخين
ورحالة العرب والأعاجم على السواء .

وعمود (قلديانوس) الذي عرف خطأ باسم عمود
(بومي) كان موضع إعجاب الرحالة العرب ، فأفاضوا في
وصفه ، وأسبغوا عليه كثيراً من القصص وسموه عمود
(السواري) لضخامته ، وارتفاعه الهائل بين الأعمدة الأخرى
التي تحيط به في معبد (السرايوم) أو القصر كما يسميه الرحالة
العرب ثم أطلقوا على باب المدينة القبلي اسم باب العمود نسبة
إلى هذا العمود وما زال إسم العمود يطلق في الوقت الحاضر على
الجيانة الواقعة خارج باب العمود ، أو باب الشجرة ، أو باب
السدرة ، أو باب البهار ، من أبواب الإسكندرية الإسلامية .

ويضاف إلى هذين الآثرين آثار أخرى جليلة كانت ترهو
بها الإسكندرية كالمكتبة الشهيرة التي زعموا افراط وظلماء
أن العرب أحرقوا ما كان بها من كتب بأمر عمرو بن العاص ،
استناداً على رواية كتاب متأخرین ، منهم ابن العربي (من
القرن السابع المجري) .

ومن آثارها البارزة الملعب المعروف (بالجيمناز يوم) الذي يزعم مؤرخو العرب ، أن عمرو بن العاص ، نزل به مع صاحبه الشمس في الباهلية لمشاهدة إحدى حفلات القوم ، ومن آثارها البارزة التي رأها العرب عند الفتح ، السلطان اللتان كانتا في صدر كنيسة (القيسري يوم) واللثان ظلتا قائمتين حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

كذلك كان تخطيط الإسكندرية الرائع عاملًا من العوامل التي أثارت إعجاب الفاتحين فشوارعها المستقيمة التي تتقاطع عموديا ، فيما يشبه رقعة الشطرنج وكانت مفتوحة أي تكتفيها البذائل من الجانبين ، ورماديتها كانت واسعة تزدان بالتماثيل والأعمدة وصهاريجها الحوفية كانت قسيمة ، بحيث يسر تفتحها الفارس ، وبهذه رمح لا يضيق به حتى يلور جميع تلك الآزاج والقناطر التي تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق ومتقدرات للضياء ، ومتنافذ للهواء .

وأسوارها كانت منيعة مزودة بالمحصون والأبراج .

هذه حالة الإسكندرية عند الفتح ، ولذا دهش العرب عندما رأوها وقد كتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر يخبره بفتح الإسكندرية وأنه لا يستطيع وصفها وعندها علم عمر بفتحها خر ساجداً لله شكرًا .

عبادة يشترك مع معاوية بن أبي سفيان في فتح قبرص :

لقد اشترك عبادة بن الصامت في كثير من معارك الإسلام التي خاضها المسلمون في البر والبحر وكتب الله لهم فيها النصر ، ومن المعارك البحرية التي أُسْهِمَ فيها معركة (قبرص) التي تمت بقيادة معاوية بن أبي سفيان .

عندما غزا معاوية بن أبي سفيان في البحر غزوة (قبرص) الأولى ولم يركب المسلمين بحر الروم قبلها ، وكان معاوية قد استأذن عمر في غزو البحر فلم يأذن له .

فلما ولَّ عثمان بن عفان كتب إليه يستأذنه في غزو قبرص ، ويعلمه قربها وسهولة فتحها ، فكتب إليه عثمان « أن قد شهدت ما رَدَ عليك عمر - رحمة الله - حين استأمرته في غزو البحر ». .

وعاد معاوية يهون على عثمان ركوب البحر إلى (قبرص) فكتب إليه عثمان يقول « فان ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذوناً ، وإلا فلا ! ». .

فركب معاوية البحر من (عكا) ومعه مراكب كثيرة وحمل معه امرأته فاختة بنت قرظة وكان يرافقه في هذه الحملة القائد (عبادة بن الصامت) فحمل معه امرأته أم حرام بنت ملحان الانصارية ، فلما وصل المسلمون (قبرص) نزلوا إلى ساحلها فبعث إليهم حاكمها يطلب الصلح وقد أذعن أهلها ،

عدوهم عليهم ، ولا ينتصروهم على عدوهم ، ولكنهم بعد حوالي ثلث سنوات ، أعنوا الروم على المسلمين في البحر ، فغزاهم معاوية في خمسة سفينة ففتح (قبرص) عنوة وقتل ونبي ، ثم أقر لهم على صلحهم وبعث إليهم باشني عشر ألفاً من المجاهدين ، فبنوا بها المساجد ونقل إليها جماعة من (بعلبك) وبني بها مدينة ، ويقى المجاهدون بالجزيرة إلى أن توفي معاوية .

وقد ظهر لنا في هذا الفتح أثر القائد عبادة بن الصامت الذي كان له أثر حاسم في فتح (قبرص) بجانب معاوية .

كلمة عن جهاده :

لقد ظهر من المعارك التي خاضها القائد العربي المسلم (عبادة بن الصامت) مدى قوته وشجاعته وثباته في المعارك التي خاضها مع رسول الله ﷺ فقد اشتراك في بدر وأحد والخندق وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وبرهن بذلك على أنه من القواد العظام الذين رباهم الرسول القائد صلوات الله وسلامه عليه .

ثم اختار عمر بعد ذلك ليكون أميراً لربيع المدد الذي أهد به عمرو بن العاص وما ذهب إلى مصر خاض معارك الفتح كلها من وقت وصوله إلى أن أنهى الفتح ، وقد اختاره

عمر بن العاص ليكون أميراً لوفد المفاوضات مع المقوس فكان مثال المفاوض القوي الذي يدافع عن حق ، فوقف عندما عرض عليه المقوس منحة من المال لخند المسلمين ولقائهم عمر بن العاص والأمير المؤمنين عمر : ثم يرحلوا عن مصر .
فقال له عبادة : لا . وَرَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ . . . ،
ليس لكم عندنا إلا واحدة من ثلاثة : إما الإسلام ، وإما دفع الجزية ، وإما السيف .

وعاد عبادة من المفاوضات متصرراً لأنّه لم يرضخ لما يقول هؤلاء المعاندون . ثم بدأت معارك الفتح بعد ذلك وانتصر فيها المسلمون ونشروا كلمة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » في ربوع البلاد التي فتحوها .

ثم ذهب القائد المظفر عبادة بن الصامت إلى الإسكندرية ففتحها ثم اشترى مع معاوية بن أبي سفيان في فتح قبرص ، وظل عبادة مجاهداً مدافعاً عن الحق حتى فتح الله للMuslimين كل بلد أرادوا فتحه .

عبادة يختطف لنفسه داراً في مصر والاسكندرية :

عندما وصل عبادة إلى مصر مددأً لعمر بن العاص ، كان الروم يتحرشون بال المسلمين ، فقد روى أن عبادة بن الصامت وقف يصلي في ناحية وعنده فرسه ، فلما رأه قوم من الروم

الصلاوة ووثب على فرسه ثم حمل عليهم ، فلما رأوه ولوا
هاربين وتبعدوا ، فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوا
 بذلك عن طلبهم . فصار لا يلتفت إليه ، دخلوا الحصن
 ورموا عبادة فوق الحصن بالحجارة ، فرجع ولم يتعرض
 لشيء مما طرحوه من متاعهم ، حتى عاد إلى موضعه الذي
 كان فيه ، فاستقبل الصلاة ، وخرج الروم إلى متاعهم
 وجمعواه ، ولما أتم عبادة صلاته طلب من الله أن ينصرهم
 وبتحقق لهم الفتح ، وقد عزم على أن يختط لنفسه داراً بمصر
 بعد أن يتم الفتح . ولما حقق الله ذلك اختط عبادة لنفسه داراً
 إلى جانب أبي رمانة في طريق الذاهب إلى سوق الحمام ،
 وهي الدار التي كان يسكنها (جوزج) المؤذن ، ودار إلى
 جنبها قابداع إحداهما عبد العزيز بن مروان ، فكانت له
 وصارت الأخرى « لبني مسكن » .

ولما فتح الإسكندرية ودخلها هو وعمرو بن العاص
 أقبل حتى علو الكروم الذي فيه مسجد عمرو فقال معاوية
 ابن حديج فنزل فيه ، فنزل عمرو بن العاص القصر الذي صار
 لعبد الله بن سعد بن أبي السرح ، ويقال إن عمرأً وهبه له
 لما ولّي البلد .

وضرب عبادة بن الصامت بناء فلم يزل فيه حتى خرج من
 الإسكندرية ، ويقال إن أبو الدرداء كان معه .

مِنْزَلَةُ عَبْدِ النَّبِيِّ وَالصَّحَابَةِ

قال عمر بن الخطاب في عبادة عبد الله أخلاقه مع معاوية وذهب إلى المدينة

”اجمع إلى مكانك ففتح آلة أرض
لست فيها ولا أمشلك“

مترأته عند النبي والصحابة :

(ارجع إلى مكانك فقبح الله أرضا لست فيها ولا أمثالك)

عمر بن الخطاب

لقد كانت مترأة عبادة بن الصامت عظيمة عند الرسول
صلوات الله وسلامه عليه وعنده صحابته والدليل على ذلك
ما قام به من أعمال جليلة في سبيل إعلاء كلمة الله .

وكان عبادة من المسلمين الأولين ، وكان تقبيا ، وشهد
العقبة الأولى والثانية والثالثة ، وكان يقول : « أنا من النقباء
الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة » .

وكان من جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ ، وقد
بايع رسول الله ﷺ ، على ألا يخاف في الله لومة لائم ،
فكان في كل عمره يعمل ذلك .

وكان معاوية قد خالفه في شيء ذكره عليه في الصرف ،
فأغلظ له معاوية في القول ، فقال له عبادة : « لا أساكنك
بأرض واحدة أبدا » .

ورحل إلى المدينة فقام له عمر : « وما أقدمت ؟ فاجبره
فقال له عمر « ارجع إلى مكانك ، فقبح الله أرضاً لست فيها
ولا أمثالك » .

وكتب إلى معاوية يقول له : « لا إمرة لك على عبادة ،
وقد ذكر معاوية الفرار من الطاعون ، فأنكر عليه عبادة ذلك
فقام معاوية عند المنبر بعد صلاة العصر ، فقال « الحديث كما
حدثني عبادة ، فاقتبسوا منه فهو أفقه مني » .

ولعبادة قصص متعددة مع معاوية ، وإنكاره عليه أشياء ،
وفي بعضها رجوع معاوية له ، وفي بعضها شكواه إلى عثمان
منه ، وكل ذلك يدل على قوته في دين الله ، وقيامه في الأمر
المعروف .

ولماذا نعجب من ذلك ؟ وقد كان عبادة يعاتب عمر بن
الخطاب ، فقد قال عمر بخلة بن الأبيهم : « إن أقمت على
دينك فأدّي الجزية » فأنف منها جبلة فقال له عمر : « ما عندنا
لك إلا واحدة من ثلاثة : إما الإسلام ، وإما أداء الجزية ،
وإما الذهاب إلى حيث شئت » .

فدخل بلاد الروم . فلما بلغ ذلك عمر ندم ، وعاتبه
عبادة . فقال له : « لو قبلت الصدقة ثم تألفته لأسلم » .

لقد أرسله عمر إلى بلاد الشام يعلمهم القرآن ويقفهم في
الدين وكان قبل ذلك يعلم أهل الصفة القرآن في زمن النبي ﷺ .

وكان عبادة أول من تولى القضاء في فلسطين ، وقد روى
عن النبي ﷺ مائة وواحداً وثمانين حديثاً ، وكان أحد
 أصحاب الفتيا من الصحابة وكان قد تفقه في الدين .

ولأه أبو عبيدة بن الجراح ولاية حمص ثم صرفه إلى
الجهاد في مصر ، ولكنه عاد إلى أرض الشام ، فلم يزل بالشام
حتى توفي بالرملة وقيل ببيت المقدس لقد كان عبادة من سادات
الصحابة ، وكان حديثاً فقيهاً ، عالماً ورعاً غاية الورع يعمل
لعقيدته ، أكثر مما يعمل لنفسه ، بل قد نسي نفسه من أجل
عقيدته .

قِيَادَةُ الْجَهْرَيَّةِ

قال الله تعالى في شأن عبادة بن الصامت عندما خلع حلف بني قينقاع واتجه إلى الله ورسوله « ومن يتول الله ورسوله ، والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون »

قرآن كريم

قيادة الحرية :

لقد كان عبادة بطلًا له تاريخ مجيد في الحروب والفتحات ،
فقد اشترك في غزوات الرسول ﷺ كلها ، وأثبت ببطولة
نادرة حازت إعجاب رسول الله ﷺ .

ثم اشترك في فتوحات الشام ، وكان مثال الجندي الشجاع
الذي يدافع عن الحق ومن أجل إعلاء كلمة الله .

واشترك في فتح مصر وكان معنوداً بألف رجل في القتال ،
وقيمه المرموقة لها سببان ، شجاعته الحرية وإقامته أولاً
وعقيدته الراسخة وإيمانه العميق ثانياً .

كان وجوده — مجرد وجود — في جيش من جيوش
المسلمين كافياً لرفع معنويات ذلك الجيش وإقامته على تحمل
أشق أعباء القتال .

إذ كان يثير في نفوسهم النخوة والتجلدة بمثاله الشخصي
في التضحية والاقدام ، كما كان يفجر في نفوسهم ينابيع
الإيمان بالقضاء والقدر والتطلع إلى الشهادة في سبيل الله .

حيثاً ، وكان شعوره هذا يستقل إلى تفوس من يحيط بهم فيعمل في تفوسهم عملاً مؤثراً .

وكان يتبرأ من الاحلاف إذا رأى في ذلك ضرراً على عقيدته ودينه وقد حدث ذلك مع يهودبني قينقاع .

وكان من أمرهم أن امرأة من العرب قدمت يجلب لها فباعته بسوقبني قينقاع وجلست إلى صانع بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبانت ، فعمد الصانع إلى طرف ثوبها فعقده على ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا منها فصاحت ؛ فوثب رجل من المسلمين على الصانع فقتله – وكان يهودياً – وشدت اليهود على المسلم : فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبينبني قينقاع .

وكان بنو قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ ، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول ، حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في قوالي ! فأبطن رسول الله ﷺ عليه ، فقال : يا محمد ، أحسن في قوالي فأعرض عنه ، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ ، فقال له : أرسلني ! وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللاً – أي تغير وجهه حين اشتد غضبه – ثم التفت النبي ﷺ

وقال : ويحك أرسلني ، قال : لا ، والله لا أرسلك حتى تُحسنَ في موالٰيَ : أربعونَ حاسِر وثلاثةَ دارع قد منعني من الأحمر والأسود تحصدُهم في غداة واحدة ! إني أمرُ أخْشى الدواير . فقال رسول الله ﷺ هم لك .

ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ ، وكان لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله عز وجلَّ وإلى رسول الله ﷺ من حلفهم وقال : يا رسول الله أتَوْلَى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين وأبراً من حلف هؤلاء الكفار وولايتم ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت هذه القصة في سورة المائدة :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أُولَئِكَ ، بَعْضُهُمْ أُولَيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَظَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمُ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ يَسَارُ عَوْنَوْنَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشِيَ أَنْ تَصْبِيتَنَا دَائِرَةً فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرًا مِنْهُنَّهُ . فَيَصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِيْنَ ، وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَلَاهُ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَانِهِمْ » ثم القصة إلى قوله تعالى :

« إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ^(١) » .

(١) سورة المائدة : ٥٦ - ٥٧ .

أمنوا ، وتبيره من بي قيئقان وحلفهم وولايتهم : « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ». وبهذا يتبيّن لنا مدى صلابة عبادة في الدفاع عن دينه وتركه الحلف ما دام فيه مساس بالدين .

ولقد كان بالإضافة إلى تمسكه الشديد بعقيلته وتفانيه في خدمتها راجح العقل المعى الذكاء يبذل قصارى جهده للحصول على معلومات كافية عن عدوه ، لذلك كانت خططه صائبة دائمًا ، كما كان لماضيه المجيد في خدمة الإسلام أثر كبير في حب رجاله له ، وثقتهم الكاملة به ، وكان بدوره يبادلهم حبًّا يحب وثقة بثقة .

وكان يدقق كثيراً (في اختيار مقصده وإدامته) .

ويبذل كل جهد لإنجاز (تحشيد قواته) ويحرص غایة الحرص على عدم إعطاء خسائر لا مبرر لها في الأرواح ، وذلك باتخاذ تدابير (الأمن) وكان (يديم معنيات) رجاله ورؤسهم لهم احتياجاتهم العسكرية .

إن عبادة قائد ملهم وقائد عقائدي من الطراز النادر .

الأجداد التاريخية لعبادة :

يذكر التاريخ لعبادة بن الصامت ، أنه كان أحد أئبي

عشر تقليباً كان لهم الأثر البعيد في نشر الإسلام بين الأوس والخزرج من أهل المدينة المنورة فمهما ذكرنا هجرة الرسول ﷺ وأصحابه إليها وجعلها القاعدة الأمينة لنشر الإسلام بعد الهجرة .

ويذكر له التاريخ جهاده المتواصل تحت لواء الرسول القائد لحماية حرية نشر الدعوة الإسلامية .

ويذكر له جمعه القرآن الكريم وروايته لكثير من السنة النبوية وعمله الدائب في تفقيه الناس بالمدينة وأرض الشام .

ويذكر له أنه من أوائل قضاة المسلمين الذين كانوا بأقوالهم وأعمالهم أسوة حسنة لقضاة المسلمين في كل زمان ومكان .

ويذكر له صلابته الفذة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تجاه أمير المؤمنين ، وأمراء الأنصار وقادة الجيوش .

ويذكر له فتحه بلداً في الشام ومدينة الإسكندرية في مصر وإثارته بتابع التضحية والداء في جيوش المسلمين المجاهدة لفتح الشام ومصر إنه أمة في رجل ... إنه مدرسة كاملة إنه نسيج وحده ؛ رضي الله عن الصحابي الجليل ، النقيب الأمين ، المحدث الفقيه ، القاضي العادل ، القائد الفاتح ، عبادة بن الصامت الأنصاري .



كان عبادة بن الصامت ، رجلا ، طويلا جسماً ، جميلا ،
مات بالرملة من أرض الشام سنة أربع وثلاثين من الهجرة
وهو ابن الثتين وسبعين سنة وله عقب .

قال محمد بن سعد : سمعت من يقول : إنه يقى حتى
توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان بالشام رضي الله عنه .
لقد كان عبادة من سادات الصحابة ، وكان محدثاً فقيهاً
عالماً ورعاً غاية في الورع ، يعمل لعقيدته ، أكثر ما ي عمل
لنفسه ، بل قد نسي نفسه من أجل عقيدته .

المراجع

- ١ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب
 - ٢ - الاصادبة في تمييز الصحابة
 - ٣ - أسد الغابة في معرفة الصحابة
 - ٤ - الفاروق عمر
 - ٥ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
 - ٦ - تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي
 - ٧ - تهذيب سيرة ابن هشام
 - ٨ - غزوة بدر الكبرى
 - ٩ - طبقات ابن سعد
 - ١٠ - فتح مصر
 - ١١ - فتوح البلدان
 - ١٢ - قادة فتح مصر والشام
 - ١٣ - محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية
- ابن عبد البر - مطبعة نهضة مصر
أحمد بن علي الكناني العسقلاني
م دار السعادة بمصر سنة ١٣٢٣ م
ابن الأثير م الإسلامية طهران
سنة ١٣٧٧ هـ
- د . محمد حسين هيكل
ابن ثورى بردى
- د . السيد سالم
- عبد السلام هارون
محمد أحمد باشميل
ابن سعد الله بيروت سنة ١٣٧٦ هـ
- ابن عبد الحكم
البلاذري - م السعادة بمصر سنة ١٩٥٩ م
محمود شيت خطاب
الشيخ محمد المصري

الفهرس

صفحة

٥	مقدمة
٩	مصر في بداية الفتح الإسلامي
١٥	عبادة يرأس وفد المفاوضات إلى المقوص
٢٥	عبادة يتبرأ من حلفبني قينقاع
٣٧	قال المقوص لعبادة عندما دخل عليه
٤٥	عبادة بن الصامت
٥٧	متزنته عند النبي والصحابة
٦٣	قيادته الحرية
٧١	المراجع